

الأدب الإلكتروني وإشكالية التدريس (الواقع والصعوبات) *Digital literature and the problem of teaching (reality and difficulties)*

راوية شاوي، جامعة 08 ماي 1945، قلمة (الجزائر).

chaoui.rawia@univ-guelma.da

تاريخ الإستلام: 2022/ 01/10 تاريخ القبول: 2023/ 12/11 تاريخ النشر: 2024/ 01/20

ملخص:

ظهر الأدب الإلكتروني نتيجة تفاعل الأدب بالتكنولوجيا ، ونافس الأدب الورقي الذي بات مهددا بتراجع مكانته، وأصبحت السلطة بذلك للأدب الجديد، وقد وجد المشتغلون في حقل التعليمية صعوبة تعليم هذا النوع من الأدب؛ لطبيعته الرقمية التي مازالت لم تنضج بعد في العالم العربي، نظرا إلى قلة الأعمال الأدبية الإلكترونية، ارتأيت -من هذا المنطلق- أن أتناول إشكالية تعليمية الأدب الإلكتروني في الجامعة الجزائرية والوقوف على التحديات والعراقيل وصعوبات التطبيق على أرض الواقع. وتهدف الدراسة إلى التعريف بالأدب الإلكتروني وإشكالية تعليميته لطلبة اللغة والأدب العربي، فما هو واقع تعليمية الأدب الإلكتروني؟ وما هي العراقيل التي واجهتها؟ وما هي الحلول المقترحة؟ متوصلة إلى ضرورة وضع إستراتيجية تعليمية بيداغوجية محكمة معتمدة الدقة العلمية في التبليغ والاستعانة الكلية بوسائل التكنولوجيا الحديثة والخبرات المعرفية المسبقة.

الكلمات المفتاحية: الأدب الإلكتروني؛ الأدب الرقمي؛ التعليمية؛ التكنولوجيا؛ الصعوبات.

Abstract:

Electronic literature emerged as a result of the interaction of literature with technology, and competed with paper literature, which is threatened by the decline of its position, and the authority has thus become for the new literature, and those working in the field of education have found it difficult to teach this type of literature; Because of its digital nature, which has not yet matured in the Arab world, given the lack of electronic literary works, I thought - from this point of view - to address the problem of teaching electronic literature at the Algerian University and to stand on the challenges, obstacles and difficulties of application on the ground.

The study aims to introduce electronic literature and its teaching problem for students of Arabic language and literature. What is the reality of electronic literature education? And what are the obstacles you faced? What are the proposed solutions? Concluding the need to develop a tight pedagogical educational strategy based on scientific accuracy in reporting and full use of modern technology and prior knowledge experiences.

Keywords: *electronic literature; digital literature; educational ; technology; difficulties*

1. مقدمة

سائر الأدب منذ التطورات الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية، فكان لسان حال المجتمعات والأمم، فقد واكب كل انجازاتها ومساراتها، وخيبتها وانتصاراتها، وانتقل من المشافهة إلى التدوين بفعل اكتشاف الطباعة وتوفر الكهرباء، ومع التطور التكنولوجي والرقمي في نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة تعالق الأدب مع التقنية والتكنولوجيا، ودخل عوالمها من أبوابه الواسعة، واستفاد من عالم الرقمنة والحواسيب، فظهر جنس أدبي جديد - إن صحّ تسميته بالجنس الأدبي- وُسم بالأدب الإلكتروني، الذي يعدّ من أرقى تطورات الكتابة الأدبية التي انتقلت من التدوين إلى الرقمي الإلكتروني.

وكان لزاماً على النقاد والباحثين أن يوجّهوا بحوثهم ودراساتهم إلى هذا النوع الأدبي الجديد، الذي مازال يخطو خطوات بطيئة ومحتشمة في العالم العربي، خاصة من حيث الإصدارات والنتاجات الأدبية (شعرا كان أم رواية أم مسرحية...)؛ هذا ما انعكس على طريقة تلقّيه وتقبّله من قبل القراء والمتلقّين، الذين ينحصرّون في بعض الفئات الاجتماعية من الطبقة الأدبية المثقفة، أو بعض الهواة الأدبيين، وانعكس أيضاً على طريقة تدريسه أو تعليمه للطلّبة في المدارس والجامعات.

ارتأيت -من هذا المنطلق- أن أتناول في هذه الورقة البحثية العلمية الأدب الإلكتروني وإشكالية تعليميته، وواقعه والصعوبات التي قد تعيق عملية التلقي والتعليم، فما المقصود بالأدب الإلكتروني؟ وما هو واقع تعليميته في الجامعة الجزائرية؟ وكيف يمكن تدريسه وتلقينه للطلّبة من الناحية التعليمية؟ وما ردّة فعل المتعلّمين إزاء هذا الجنس الأدبي الجديد؟ وما هي الصعوبات والعراقيل التي تواجههم من أجل الاستيعاب الأمثل له؟ وما هي الحلول والبدائل المقترحة لتغطية تلك العراقيل؟

2. ماهية الأدب الإلكتروني:

استطاع الأدب بفضل قدرته التّكيفية (المطواعة) أن يتفاعل مع عديد التخصصات المختلفة، الفنيّة منها كالرّسم والنّحت والسّينما، والعلمية منها كعلم النفس، والتاريخ، وعلم الاجتماع، والمعرف كالفسفة والدّين... كلّ ذلك مردّه أنّ هذا الفنّ الجميل متعالق ومتداخل مع الحياة الاجتماعية، ولا يخفى على اثنين أنّه استفاد كثيراً من عالم التكنولوجيا والرقمنة خاصّة أنّ العالم يمرّ اليوم بموجة صناعية خامسة منذ اجتياح جائحة كورونا العالم، فاضطرّ البشر إلى التّواصل مع بعضهم بعضاً عن طريق الإنترنت والحواسيب والهواتف الذكية المحمولة، ومختلف وسائل التّواصل الاجتماعي، التي باتت تحمل ذاكرة الإنسان المعاصر ولا يمكن الاستغناء عنها؛ ذلك أنّ الثّورة الرّقمية أسهمت في نقل المعرفة من الصّفحة المكتوبة إلى الصّفحة الرّقمية المتمثلة في الصّورة والموسيقى والحركة... وكلّها تنطوي تحت ظاهرة العولمة، عولمة المعلومات والمعرفة، ومن يمتلك هذه الأخيرة يمتلك القوّة، ومن يمتلك المعلومات يمتلك الثّروة الدّهنية الأغنى من الثّروة الماديّة (لانت).

ولم يكن الأدب بمنأى عن هذا التطور العلمي والتّكنولوجي، والرقمي فظهر الأدب الإلكتروني الذي أزاح وحاول قتل فكرة الأدب الورقي أو الثّقافة الورقية، فاسحا المجال لنفسه بالمرور وطمعاً العالم -ولو ببطء في العالم العربي- وهو مصطلح (الأدب الإلكتروني) قديم الظهور في فرنسا، وأكثر انتشاراً في الساحة الثّقافية والإعلامية الفرنكفونية، كان شائع الاستخدام في سنوات 1989 / 1990 م، ويؤكّد أكثر على الطّبيعة التكنولوجية لاشتغال الوسيط مصطلح رقمي، وقد ميّز الباحث فيليب بوطز بين الأدب الإلكتروني والأدب الإلكتروني التّفاعلي؛ حين صرّح أنّ هذين المصطلحين يطلقان اليوم على الكتب الورقية المرقمنة، وهي

مؤلفات لا تدخل ضمن فئة الأعمال الأدبية الرقمية (بوتز، 2013)، وكلّ عمل أدبي يدخل التقنية أو الحاسوب فهو أدب إلكتروني.

من المفاهيم المحددة للأدب الإلكتروني أنّه الأدب الذي يرتبط بالنشر الإلكتروني السطحي المباشر، والذي يتخذ عدّة قنوات لتوصيل مختلف الخطابات والرسائل، مثل: البريد الإلكتروني أو الإيميلات (emails)، والرسائل (sms)، والبلوجات (blogs)، والفلاش (flash)، والبريد (les courriels) (حمداوي، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الوسائطية)، 2016).. ولعلّ من فصل في مفهوم الأدب الإلكتروني الباحثة الإماراتية المهتمة بهذا المجال فاطمة البريكي ضمن كتابها «مدخل إلى الأدب التفاعلي؛ إذ خصّصت حيزاً واسعاً للأدب الإلكتروني ورأت أنّ النصّ الإلكتروني «هو النص الذي يتجلى من خلال الحاسوب، سواء اتّصل بشبكة الإنترنت أم لم يتّصل» (البريكي، 2006)، ورأت أنّ التحوّل من الورقية إلى الإلكترونية هو من إفرزات العصر وامتزاج الأدب بالتكنولوجيا، ما تولّد عنه نصوص إلكترونية شبكية ومتفرّعة، هذه الأخيرة نتج عنها نسقين أحدهما سلبي يمثل نسخة إلكترونية لأخرى ورقية، يُقرأ إلكترونياً من دون أن تتأثر سلامته وثانيهما نسق إيجابي لا يمكن قراءته إلا عبر الوسيط الإلكتروني، ويتجلى في شكل صور وأشكال يختلف بعضها عن بعض في عدّة جوانب دقيقة، منها الأنواع الأربعة الآتية التي حدّدها جيرهارد ليندي (Gerhard Van Der Linde): (البريكي، 2006)

_ نوعٌ يوجد على أقراص مدمجة cd-rom، تتضافر فيه الكلمات والصّور الجرافيكية والأصوات، تسمح للمتلقّي بسماع النصّ الأدبي أثناء متابعته له قراءة.

_ نوعٌ يتضمّن النصوص الأدبية المكتوبة بواسطة كاتبٍ واحدٍ وضع الروابط واختار مواضيعها، يقوم فيه المتلقّي بمتابعة الروابط.

_ نوعٌ تدمج فيه كلّ الوسائل لتقديم النصّ إلى المتلقّي؛ بحيث تحضر الصّورة والصّوت والأشكال مكتملة للنصّ المكتوب، فتدمج فيه وتتفاعل معه، يقوم المتلقّي فيه بتأثير الثّغرات الطّباعية، والمساهمة في النقاشات، وإرسال رسائل إلى المؤلّف أو المبدع الأصلي للنص الرقمي.

_ نوعٌ يتيح قدرًا عاليًا من التّفاعلية مثل الروايات التّفاعلية التي تسمح للمتلقّي بالتدخّل والإضافة والتّعديل والحذف الذي يكون بدعوة من المؤلّف، ولعلّ هذا النوع هو الأكثر أدبية وتأثيرية؛ إذ يتفاعل المتلقّي مع المبدع في الآن ذاته، ويصبح المتلقّي/القارئ منتجاً للنص الإلكتروني ومتفاعلاً معه من خلال كتابة نهايات أخرى غير النهاية التي أوردها المؤلّف.

من هذا المنطلق، فإنّنا سنعتمد في هذه الدّراسة مفهوم الأدب التّفاعلي بالمعنى ذاته للأدب الإلكتروني؛ ذلك أنّ الأدب التّفاعلي يقدّم «نصّاً مفتوحاً بلا حدودٍ، إذ يمكن أن يندثّر المبدع أيّاً كان نوع إبداعه نصّاً ويلقى به في أحد المواقع على الشّبكة ويترك للقراء أو المستخدمين حريّة إكمال النصّ كما يشاؤون» (البريكي، 2006)، فهو نصّ مختلفٌ عن النّصوص الرّقمية أو الإلكترونية السّلبية التي هي نسخة عن النسخة الورقية المعدّة للقراءة فقط، وفي هذا الصّدد حدّدت البريكي توجّهات وتجليات الأدب الإلكتروني في عديد التوجّهات، منها (البريكي، 2006):

_ المنتديات الأدبية الإلكترونية العديدة والمتنوّعة، التي تمتاز بصفة الجماعية والتشاركية، وهي متاحة للجميع، وبإمكان أيّ شخص مهتمّ بالثقافة وبالأدب في أيّ بقعة من العالم أن يشترك في عضوية هذه المنتديات، من دون تقديم الأوراق الثبوتية، ما عدا الالتزام بأدبيات الإنترنت. يتمّ في هذه المنتديات فتح باب النقاش والتّواصل وتبادل الأدب بمختلف فنونه، وتقديم مداخلات وتعليقات وانتقادات بناءً تُسهم في تقييم

وتحليل كل أيقونة من الأيقونات على شاشة مختلفة، وبمجرد الضغط عليها نلج العنوان المصاحب بموسيقى حزينة متحدة مع صورة التمثال الذي يظهر وكأنه نُحت من الطين وهو في حالة غضب شديدة، وصراخ مدوي. ويستمر بناء القصيدة «في شكل نصوص متفرعة تعتمد على تقنية الترابط النصي، وتتخذ من الموسيقى والإيقاع الفني والرسم الشكل المعبر والموحي عنها» (معمري، 2016)

ولن يتمكن معلّمو الأدب الإلكتروني من تلقين أو تدريس مادتهم الرقمية، إلا بالتعاون مع المتعلمين؛ إذ يتوجب عليهم الاطلاع مسبقاً على مختلف النصوص الأدبية الرقمية، لتسهيل عملية التدريس، كما يجب عليهم التحكم في آليات الحاسوب وبرمجياته المتنوعة، وأن يطلعوا على مختلف تطورات التكنولوجيا والعولمة، خاصة إذا علمنا أن النص الرقمي الإلكتروني نصٌ مرئيٌ حسيٌّ يخاطب العين أكثر من الحواس الأخرى، لما يتوقّر عليه من أشكال وألوان وخطوط ولقطات وإضاءة وأرقام وأشخاص وأنغام... تسهم كلها متضافرة في تشكيل نسيج النص الأدبي الإلكتروني، ومن ثمة فالدّارس أو المتعلّم عليه مواجهة النص ببعديه اللساني والأيقوني، والتعامل مع التقنية بدل النص الورقي.

ويرى الباحث المغربي سعيد يقطين أن قراءة النص الرقمي تتطلب توفر شرطين أساسيين، وهما: (يقطين، 2004)

_ امتلاك المعرفة المعلوماتية ولو في حدّها الأدنى، خاصّة العمليات الضرورية لتشغيل الحاسوب واستخدامه، كتحرير الفأرة واستعمال لوحة المفاتيح، وتشغيل البرامج، وعمليات النسخ والحفظ، والتحرك داخل مساحة الصفحة.

_ ضرورة معرفة كيفية إنتاج النص المترابط وإنجازه في عملية القراءة؛ إذ يجب على القارئ أن يدرك أن النص الذي يعاينه نصٌ مترابطٌ مختلفٌ عن النص الورقي، وهو بذلك مليءٌ بالروابط التي تسمح له بالانتقال من شذرات نصية إلى أخرى بمجرد تنشيطها بالنقر عليها بواسطة الفأرة، وعليه أن يدرك أيضاً أنه كلما واصل تنشيط هذه الروابط وتقدّم في فتحها ابتعد عن نقطة البداية، الأمر الذي سيدخله في متاهة قد يصعب عليه الخروج منها، أو التحكم في مسار عملية القراءة والاستفادة من النص المترابط الذي يعاينه.

وإذا جئنا إلى دراسة تعليمية الأدب الإلكتروني واقعا وصعوبات، فإنّه يتوجب علينا الحديث عن معنى التعليمية أولاً؛ على الرغم من المفاهيم الكثيرة المنتشرة حولها، فإننا سنقتصر على تعريف رأيناه يتماشى وأهداف البحث؛ إذ تعني التعليمية في أبسط معانيها «الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعلّم التي يخضع لها التلميذ قصد بلوغ الأهداف المنشودة» (الدريج، 2000) عقلياً ووجدانياً وحسياً حركياً، من شأنها مواجهة عدّة مشكلات خاصّة بالمتعلّم أو بالمادّة وبنيتها المعرفية، أو بمشكلات الطرائق، أو مشكلات الوضعيات التعليمية التعلّمية. (المكسي، 2003)

وتطبيقاً على الأدب، فإنّه يشهد واقع تعليميّته تحوّلاً جذرياً في طريقة تلقينه وتدرّسه، فلم يعد بحاجة إلى السبورة والطباشير، وإنّما بحاجة إلى الحواسيب وشبكة الإنترنت وشاشة العرض (data show)، وهذا ما توقّعه رائد الأدب الإلكتروني محمد سناجلة في كتابه «رواية الواقعية الرقمية؛ حيث توقّع مجيء العصر الرقمي الذي سيحدث ثورة في مجال التعلّم، فستمكن التقنيات الطّلاب من أن يصبحوا أكثر نشاطاً واستقلالية في تعلّيمهم، و«سوف تسمح أجهزة الكمبيوتر للطلاب بتحمّل مسؤولية التعلّم عن طريق الاستكشاف والتعبير والتجربة» (سناجلة، لا ت)، ممّا يؤدي إلى تغيير وظيفة كلّ من المعلّم والمتعلّم على السواء؛ فيصير الطالب متعلّماً بدل متلقّن، والمعلّم معاون وموجّه بدل ملقّن.

ولكنّ واقع تعليمية الأدب الإلكتروني في الجامعة الجزائرية مازال يسير على خطا زمن الورقية؛ إذ مازال المتعلّم والمعلّم على السواء يعتمدون الطّريقة التّقليدية في التّدريس؛ والسّبب الرئيس غياب الإمكانيات والوسائل المعتمدة في تعليم هذه المادّة الحيوية؛ إذ يجتهدان بوسائلهما الخاصة في محاولة فهم المحتوى أو التّقرّب منه، خاصة إذا ما علمنا انعدام شبكة الإنترنت أو ضعف تدقّقها، كما أنّ الإمكانيات المادية للمتعلّمين تختلف بينهم، ولا تسمح لهم باقتناء الحواسيب أو أجهزة الهواتف الذكية.

وفي محاولة منّا الوقوف على واقع تعليمية هذه المادّة بتوجيه أسئلة لمعلّمها، وكيفية تقديم الأدب الإلكتروني للطّالب تخصّص الأدب العربي، اشتكى جلّهم من قلة الإمكانيات، وأنّ المحتوى يُقدّم مادة جافّة مجمّدة عبارة عن صور ليس أكثر، وأنّ أغلب المتعلّمين يقدّمون دروسا نظرية فقط، مردّد ذلك صعوبة الولوج إلى الأعمال الأدبية الإلكترونية.

أكيد، أنّ تقديم مادّة دسمة كالأدب الإلكتروني بالطريقة التلقينية الكلاسيكية ينعكس على المتعلّمين بالسلب؛ إذ يحدّ من قدراتهم العلمية والتكنولوجية، كما لا يمكّنهم من التفاعل المباشر مع هذه النصوص الرقمية، ونقدها أو تقديم البدائل والمقترحات، أو كتابة نهايات مختلفة للرواية عن النّهاية التي وضعها مؤلّفها الأساسي. إضافة أنّهم لن يخرجوا من سيطرة الكتب الورقية وهيمنتها، ولن يطّلعوا على ما استجدّ في السّاحة الأدبية العربية والعالمية من تطوّرات، وربّما ذلك راجع إلى العقلية العربية في حدّ ذاتها، الرّافضة لكلّ جديد، وهذا ما أكّدته البريكي في معرض حديثها عن سبب عدم اهتمام العرب بالأدب الرّقمي التفاعلي، مرجعة ذلك إلى الأسباب الآتية. (البريكي، 2006)

- _ عدم شيوع استخدام الإنترنت عند العرب.
- _ طبيعة الحضور العربي على شبكة الإنترنت.
- _ نوعية المرغوب عربيا ممّا يقدّم على الشبكة.
- _ متوسّط سنّ المستخدمين على الشبكة.
- _ عزلة الأدب والأديب عربيا عن محيطه.

ولهذا؛ فقد وقع الأدب الإلكتروني بين موقفين: المؤيّد والرّافض، كما حدث لـ محمد سناجلة من حملة الانتقادات الشرسة التي شنت عليه حين كتب روايته الأولى "ظلال الواحد"، وقد وقفت البريكي بكلّ حيادية مطلقة حين تحدّثت عن المرحبتين به وأسباب تقبّله كونه أدبا يكسر الرّتبة المرتبطة بالنصوص الأدبية التّقليدية، ويحفّز على المشاركة والتفاعلية والإنتاج والابتكار، أمّا الرافضين له فقد رأوه جنسا هجيناً دخیلاً على العملية الإبداعية، يقضي على الملكية الفردية ويؤدّي إلى غيابها... وأبدت رأيها بإيرادها لمقال كتبته في أحد الملتقيات العلمية بعنوان "أفاق تلقي الأدب عبر الإنترنت" منوّهة إلى أنّ العقلية العربية درجت على حبّ الورق والعزوف عن الجانب الإلكتروني، فالمحافظة والارتباط بكلّ ما هو تقليدي ونسقي من شأنه أن يحدّ من التقدّم والتطوّر، وينعزل ذاتيا، إضافة إلى الفجوة التّفسية للجيل القديم الناشئ على الورق وبين الحاسوب، الذي لم تتعوّد أنامله بعد عليه، وهنا مكمن الخطورة؛ إذ أنّ العملية الإبداعية ليست «طقسا مقدّسا» كي نظلّ محافظين على تقاليده شكلا ومضمونا، إنّها عملية متجدّدة، ويجب عليها التجدّد ومواكبة العصر الذي تعيشه كي تعبّر عنه وتمثله في العصور اللاحقة (...). (البريكي، 2006)، وقد ربطت علاقة الجيل الجديد بحبه للشاشات والحواسيب والإنترنت وهو في سنّ صغيرة، وعزوفه عن القراءة الورقية. وبالتالي؛ فتقبّل الأدب التفاعلي/الإلكتروني أو رفضه يرجع إلى العقلية العربية في حدّ ذاتها، ومحاولة تغييرها وتقبّلها لكلّ ما هو جديد لتستطيع الوقوف على رجليها ومسايرة التطوّر العلمي والركب الحضاري.

ولمسيرة الرّكب الحضاري توقّع سناجلة بأنّ الكتاب الورقي المطبوع سيتجاوز مع الكتاب الإلكتروني لمُدّة من الزّمن قد لا تتجاوز العشرين أو الثلاثين عاما القادمة، ولكن في النهاية لن يبق سوى ابن العصور وناقل معناه سيذهب الكتاب الورقي إلى متاحف التّاريخ ، (سناجلة، لا ت) وسيعمل الأدب الإلكتروني على نقل المتعلّمين من حالة السّكون والجمود إلى الحركة والحيوية؛ إذ لم تعد النّصوص الأدبية مجرد كلمات عاجزة عن قول شيء نافع «تظلّ ملقاة على الورق، بلهاء، سوداء الأنوف مقرّزة مثل القملات، لا تستطيع أن تقول شيئا واحدا، حتّى تتدخّل الموهبة لإنقاذها»، (النّهوم، لا ت) هذه الموهبة تتمثّل في مدى قدرة المبدع أو الأديب على استحضار الصّورة المتحرّكة من موسيقى ومؤثّرات صوتية وضوئية... ذلك أنّ الصّورة هي المحرك الأساس للتحصيل المعرفي والوصول إلى الحقيقة النّسبية.

4. صعوبات تعليمية الأدب الإلكتروني:

من العراقيل التي تواجه المعلّمين والمتعلّمين في تلقين وتلقّي مادة الأدب الإلكتروني / الرّقمي / التّفاعلي، ما هو راجع إلى المحتوى في حدّ ذاته، ومنها ما هو عائد إلى المتعلّم، ومنها ما يخصّ المعلّم، ويمكن إيرادها في النّقاط الآتية:

_ الملاحظ أنّ مصطلح الأدب الإلكتروني تكنفه الضبابية والغموض؛ ذلك أنّه لصيقٌ بمصطلحات أخرى مشابهة له في الاستعمال والمعنى، وأحيانا يُستعمل بالمعنى ذاته؛ من قبيل: "الأدب التّكنولوجي" أو "الأدب الرّقمي"، أو "التّفاعلي" أو التّشعّبي، أو "أدب الصّورة"... ويرى إبراهيم أحمد ملحم أنّ صفة الرّقمية لا تعني بالضرورة صفة التّفاعلية، وأنّ الأدب الرّقمي غامضٌ وعسير جدّا على التّحديد، أمّا النصّ التّشعّبي فتحصيلٌ حاصلٌ للأدب الإلكتروني من غير الحاجة للفصل بينهما. في حين يقيم الباحث نفسه تعريفات لهذه الآداب الرّقمية في قوله: «الأدب الرّقمي والأدب الإلكتروني واحد، وأنّ النصّ التّشعّبي هو جزء من تقنية الأدب الرّقمي، والأدب الإلكتروني معاً، وغياب التّشعّب لا يلغي كونه رقمياً أو إلكترونياً، وأنّ "الأدب التّفاعلي" يكسب صفة التّفاعل حقّاً، حينما يشارك القارئ، ليس في تذوّقه فحسب، بل في إتاحة المجال لإنتاج شيء منه أو نقده». (ملحم، 2013)

فالأدب الإلكتروني حسب حمداوي ليس بالأدب الرّقمي؛ هذا الأخير يعدّ نتاج الحوسبة الإعلامية وخاضع للبرمجة الإعلامية، منسجم مع الهندسة الداخلية للحاسوب، في حين أنّ الأدب الإلكتروني نتاج إعلامي خارجي (حمداوي، الأدب الرّقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الواسطية)، 2016)، يصبح الكاتب فيه افتراضياً، ويفترض بدوره قارئاً افتراضياً يتفاعل مع الصّورة والكلمة والصّوت.

وقد تحدّث زهور كرام عن فوضى مصطلح الأدب الرّقمي/ الإلكتروني، ورأت أنها ليست حكراً على النقد العربي فقط، وإنّما هي خاصية بدأت مع بدايات الأدب الإلكتروني؛ «ففي أمريكا يتمّ التّركيز على مفهوم النص المترابط hypertexte، وفي أوروبا يتمّ توظيف مصطلحي الرّقمي numérique والتّفاعلي interactif» (كرام، 2009)، وبالتالي فهذه الفوضى المصطلحية ليست إلا نتاج لجدّة هذا التوجّه وحدائته، فما زال الأدب الرّقمي/ الإلكتروني تجربة في طور التشكيل والبحث عن منطقها الذي سيحدّد معالمها في المستقبل القريب.

_ وللفضل في هذا الرّخم المصطلحاتي رأت فاطمة البريكي في مقالها المعنون بـ "نحو تأسيس اصطلاح لمعجم الأدب الإلكتروني" أنّ مصطلح الأدب التّكنولوجي مازال مجهولاً عند العرب، وحاولت البحث عن تعريفات

مناسبة للمصطلحات الآتية: الرقمية، والإلكترونية، والتكنو-أدبية... ولم تجد ما يعبر بدقة عن المفاهيم التي ترجوها، فقامت بصياغة بعض منها (ملحم، 2013)

_ النصّان الرقمي والإلكتروني كلاهما يُقدّمان من خلال جهاز الحاسوب، في حين النص الرقمي يعتمد الصيغة الرقمية الثنائية (1/0) في التعامل مع النصوص، أمّا النصّ الإلكتروني فيكتسب صفة الإلكترونية بحسب صيغة الوسيط الإلكتروني الحامل له.

_ وأطلقت مصطلح الأدب التفاعلي على النصّ المقدم إلكترونيًا سواء المتصل بالشبكة أو من دونها، ويستعين بالصوت والصورة، والوسائط المتعددة، ويُشترط فيه الحضور التام للقارئ الفاعل والمتفاعل.

وفي معرض حديث الباحث عبد الله بن أحمد الفيافي عن القصيدة التفاعلية، أورد في هامش المقال أنّه استبدل كلمة إلكترونية برقمية؛ فيقول: القصيدة الإلكترونية التفاعلية بدل القصيدة الرقمية التفاعلية؛ لأنّ التعامل مع القصيدة إنشاء وتلقّيًا هو من التقنية الإلكترونية، أمّا مصطلح رقمي فهو مُلبس ومشوّش لأنّه مأخوذ من الرقم والأعداد، فلا مانع عنده من أنّ صفة الإلكترونية تغني بحال عن صفة التفاعلية interactive. (الفيافي، لا ت)

_ من الصّعوبات التي واجهت المعلّمين والمتعلّمين للأدب الإلكتروني كثرة توظيف التقنية؛ أدّى إلى الزيادة في صعوبة فهم المعنى، أو ما يمكن تسميته بتشظّي المعنى، كما أدّى التّسارع والحماسة وراء الرقمنة والتقنية إلى تبني فكرة موت ثقافة الطباعة (ملحم، 2013) the death of print culture، إضافة إلى أنّ بعض الباحثين كتبوا وتساءلوا عن ماهية الأدب الإلكتروني: هل هو حقًا لعبة؟ Electronic literature. Is it really a game?

_ صعوبة تحميل النصّ الرقمي الإلكتروني؛ ذلك أنّ عوائق تقنية تعتريه بسبب البطء الشّديد خاصّة في نسخ الإنترنت، فيضطرّ المتلقّي إلى إعادة التّشغيل عديد المرّات، ممّا قد يستهلك وقتًا زمنيًا من أجل فتح النصّ والإطلاع عليه، وهذا ما يؤثّر سلبيًا على التلقّي والتّحصيل الجيّد، وينقّر المتلقّي من الأدب الإلكتروني.

_ ومن الصّعوبات أيضًا -حسب الباحثة المغربية زهور كرام- التي جعلته يتعرّف في عملية محقّقه راجعة إلى العقلية العربيّة في حدّ ذاتها؛ فالوعي بتحوّلات النصّ الأدبي والإقبال على فهمها يتطلّب تراكمًا نصّيًا للتجربة الجديدة للأدب؛ ففي غياب هذا التّراكم يظلّ التّفكير محكومًا عليه، إمّا باستهلاك ما هو نظري عام، أو باعتماد تجارب نصية خارج تجربة السّياق العربيّ كرام، ظلال العاشق من الانهيار إلى السّؤال الأدبيّ)

_ ازدياد تعقيد المعنى التّهاوي للنصّ مع التّطوّرات التكنولوجية المتسارعة، خاصة ارتباطه بعلم اللّغة الحاسوبي الذي يجمع بين النّصوص الورقية والرقمية؛ لأنّ اللسانيات الحاسوبية تعدّ جسرًا تعبر من خلاله النصوص من المستوى الورقي العادي إلى المستوى الآلي.

_ لفهم النصوص الرقمية الإلكترونية وجب على المتعلّمين المعرفة الكافية بفنون الإخراج الفيلمي؛ ذلك أنّ النصّ الإلكتروني التفاعلي يفترض من الناحية الإجرائية العلمية قبل تحويله إلى نصّ مترابط يتحوّل إلى نصّ فيلميّ (حوشي)، فيجب تحميله آليًا عبر الحاسوب ليتمّ عرضه كما تُعرض الأفلام، وبذلك يكون المتلقّي أمام شاشة فيلمية سينمائية حاسوبية، لا أمام نصّ رقمي فقط.

_ تعدّ خصوصيات النصّ الرقمي الإلكتروني في حدّ ذاتها عائقًا أما المتلقّين في فهم المحتوى على وجهه الصّحيح، خاصة خاصية تعدّد الوسائط في الكتابة والنّشر، إضافة إلى التحام اللّساني بالأيقوني كما في رواية

ظلال العاشق لسنّاجلة، فلمّا نضغط على زرّ التّحميل فإنّه تظهر لنا صورة مصحوبة بصوت حزين وكأنّ الحرب على وشك الحدوث، ثم يظهر النّص مكتوباً على صفحة صفراء اللون، بها كلمات ملوّنة بالأزرق، مثلاً جملة "وأمسكت بقائدهم فأحرقته حيّاً" تتجلّى صورة فيلمية لرجل في قفص حديدي يتمّ حرقه فعلاً، وقد صوّبت الصّورة المتحرّكة بموسيقى متلائمة معها. كما هو مبين في الصور المرفقة أدناه:



وهذا ما سيشتّت ذهن المتلقي، فينسى أنّه أمام رواية أو عمل أدبي بل يشاهد مقطعاً فيلمياً، يأخذه إلى عوالم تخيلية بعيدة عن الأدب، هذا الأدب الرقمي الذي تتغير فيه مفاهيم الزمان والمكان بكسرهما وخرقهما؛ إذ ينتقل المبدع من زمن إلى آخر من دون ربط أو تمهيد، كما هو مبين في الصّور الآتية:



_ من العراقيل التي تواجه متعلّمي الأدب الإلكتروني أنّه يدرّس كمادة تعليمية في الجامعة الجزائرية لطلبة اللغة والأدب العربي طور الماستر لمدة سدا سي واحد فقط؛ بحيث لا يتسنى للطالب أو المتعلّم معرفة الأدب الإلكتروني حقّ معرفة، أو أنّ معرفته تكون في أغلبها نظرية من دون الولوج إلى الجانب التطبيقي التفاعلي الحقّ، وذلك راجع لضيق الوقت والمهاد التّظري الطّويل يحول دون الوصول إلى معرفة المتعلّم للأدب الرقمي التّفاعلي والوقوف على دراسة نماذج تطبيقية منه، وخلق نصوص تفاعلية تسمح لهم/ المتعلّمين بالمشاركة والتّفاعل.

_ بعد توقيت تدريس مادّة الأدب الإلكتروني توقيتا سيّنا غير مدروس؛ إذ غالباً ما تكون في الفترة المسائية، حين يكون المتعلّم متعباً ومنهكاً، لا يقوى على الاستيعاب الجيّد لمحتوى غنيّ بالدلالات والصّور والحركات التي تظّل في غالبيتها صوّراً مجمّدة لا غير، ينعدم فيها التّفاعل الفعّال. هذا التّوقيت السيّئ لم يراع فيه أنّ عمّال الصّيانة أو العمال المسؤولين عن تقديم الوسائل المساعدة انتهى دوامهم.

_ في الأغلب الأعم لا تتوفّر الكثير من الإمكانيات المساعدة على نجاح العملية التعليمية التعلّمية للأدب الرقمي؛ بسبب غياب الأجهزة الملائمة، كالحواسيب وجهاز العرض data show، وقلة تدفق الإنترنت أو انعدامها في بعض المؤسسات التّربوية أو حتى الجامعية.

ولعل من الصعوبات أيضا قلة أو انعدام الخبرة أو الكفاءة الجيدة للمعلمين والمتعلمين على السواء بخصوص الأدب الرقمي، إضافة عدم الإلمام والمعرفة الجيدة بالوسائط والبرمجيات الحديثة وبما تقدمه التكنولوجيا للأدب؛ لذا يلجأ القارئ أو المتلقي للأدب الرقمي إلى الاهتمام بالشكل على حساب المعنى؛ فيهتم بتربط الأخبار والإمكانات البصرية والصوتية وبالبعد التكنولوجي للواسطة، مجزأ من هذه الوحدة أو تلك، ويظل بذلك أسير الشكل الترابطي. (زرفاوي، لات)

5. الحلول والبدائل:

وللوصول إلى تعليمية فعالة للأدب الإلكتروني، وتفادي كل تلك الصعوبات السالفة الذكر، فإننا نقدّم بعض المقترحات والتوصيات المتوافقة مع المقترحات التي تبنتها زهور كرام في معرض حديثها عن الأدب الرقمي في الندوة الافتراضية التي قدّمتها رفقة "محمد سناجلة" على اليوتيوب (الأدب الرقمي مع سعادة أ. د زهور كرام، 2020):

ـ وجب على المؤسسات التعليمية وخاصة مؤسسات التعليم العالي تطوير هذا الأدب؛ وذلك بضرورة إدخاله إلى الجامعات كمادة تعليمية، والقيام ببحوث ودراسات علمية حوله، فكلما كثرت الدراسات والأبحاث كثرت الانتشار والتلقي وكثر معه الزيادة في الإنتاج الأدبي الرقمي التفاعلي. ومعلوم أنّ المصطلحات والتوجهات الجديدة تنتشر بفعل تبني المؤسسات الجامعية لها.

ـ ضرورة تشجيع قراءة النصوص الرقمية الإلكترونية التفاعلية؛ وذلك بغية التدريب على خلق شبكة ذهنية لهذه النصوص، من خلال تكوين شبكة من الشراكة بين المؤلف والقارئ؛ ففي النصوص الأدبية الإلكترونية يتعدّد المؤلفون والقراء على حدّ سواء.

ـ بما أنّ الإبداع الرقمي الإلكتروني أصبح مرتبطاً بشرطٍ علمي وتقني، فإنّه على المبدعين والمتلقين وخاصة المعلمين والمتعلمين الانخراط التكويني فيهما ليتسنى لهم التفاعل مع النصوص الرقمية وزيادة الإنتاجية؛ فقد لوحظ أنّ السياسات الرسمية العربية ما تزال تدفع بأدغمتها التكنولوجية نحو الغرب الأوروبي والأمريكي (كرام، الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأمّلات مفاهيمية، 2009)، ما يجعل الدّول العربية تتحوّل إلى مراكز تكوين عوض مراكز إنتاج.

ـ ما نضيفه هو ضرورة الوعي بمدى أهميّة الأدب الإلكتروني في ظلّ العولمة التي اجتاحت العالم وأصبح لا مفرّ منها إلا إليها.

ـ ضرورة تحسين حجرات التدريس بالجامعات، وتجهيزها بمختلف الأجهزة الإلكترونية اللازمة لتسيير المحتوى بطريقة فعّالة وناجحة.

6. خاتمة:

استطاع الأدب الإلكتروني -رغم قلّته عربياً- أن يفرض سلطته على النقاد والدارسين، وتميّز عن الأدب الورقي بخاصية التفاعلية التي فرضتها التقنيات الجديدة، فوضعت الإنسان المعاصر سواء أكان معلماً أم متعلماً في موقف غير مسبوق، وفرضت عليه إعادة خلق الصّور البصرية ونفث الحياة فيها، وهو ما لم يكن موجوداً من قبل في الأنماط التشكيلية القديمة، والمزاوجة بينها وبين اللغة بما يجعلها مفتوحة على نظم إشارية متعدّدة ومتداخلة.

_ على الأديب الإلكتروني أن يستقطر في أعماله الفنية الرقمية خلاصة تجربته الجمالية في فنون الكلام والرسم والتشكيل والموسيقى والتعبير الجسدي الراقص... وذلك بمزج اللغة المكتوبة بالجانب الأيقوني، ليستطيع نقل المتلقين (معلمين أو متعلمين) إلى عوالم تخيلية تكون قادرة محو الأمية البصرية؛ وذلك بإدخال المتلقين المتفاوتين في المستويات السوسيوثقافية المتباينة إلى دائرة المستهلكين اليوميين للفنون المركبة والمعقدة، من فنون الكلمة والحركة والتشكيل البصري، وصيها في نصوص جديدة تستوعب الإبداع الإنساني.

_ مازالت الجامعة رغم الأشواط الكبيرة التي قطعتها في مجال الرقمنة والتكنولوجيا قاصرة عن سدّ العديد من الفجوات والثغرات من الناحية البيداغوجية.

_ يعدّ النصّ الأدبي الرقمي من ناحية التعليم نصّا تعليميا حاملاً لمضمون لغويّ ومعرفيّ يتطلّب من المعلم/ الأستاذ إيفهامه للمتعلّمين/ الطّلبة، ما يقتضي منه وضع إستراتيجية تعليمية بيداغوجية محكمة معتمدة الدقّة العلمية في التبليغ والاستعانة الكلية بوسائل التكنولوجيا الحديثة والخبرات المعرفية المسبقة.

_ بما أنّ العالم اليوم يسير نحو عصر الرقمنة والافتراضية فإنّ المؤسسات الجامعية أخذت على عاتقها ضرورة الالتزام بالتعليم عن بعد، أو التعليم الإلكتروني، بخلق منصات وأقسام إلكترونية تتماشى والمعطيات المستجدة التي تنعكس بدورها على العملية التعليمية سواء العادية أو الرقمية.

7. الهوامش:

1. الأدب الرقمي مع سعادة أ. د. زهور كرام 08 أكتوبر 2020، صالون الأدبيات الافتراضي، Récupéré sur sanajlah-shades.om.

2. البريكي، فاطمة. (2006). مدخل إلى الأدب التفاعلي. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي

3. الدريج، محمد. (2000). مدخل إلى علم التدريس، تحليل العملية التعليمية: البليدة، الجزائر: قصر الكتاب

4. الفيفي، عبد الله أحمد). (لا ت) نحو نقد إلكتروني تفاعلي.

5. المكسي، محمد. (2003). الدليل البيداغوجي مفاهيم مقاربات. منشورات صدى التضامن

6. النيهوم، الصادق). (لا ت)، الكلمة والصورة. بنغازي، ليبيا: مكتبة النيهوم، سلسلة دراسات (3)، نشرت بصحيفة الحقيقة.

7. حمداوي، جميل. (2016). الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الواسطية). شبكة الألوكة

8. حمداوي، جميل. (2020). سيميوطيقا الصورة السينمائية. الناظور، المغرب: دار الريف للنشر والطبع الإلكتروني

9. حوشي، عايدة). (لا ت). (استراتيجيات تلقي النص التفاعلي بين اللغوية والنظم الدليلية ظلال العاشق). Récupéré sur sanajlah-shades.com.

10. زرفاوي، عمر، (لا ت)، الكتابة الزرقاء، مدخل إلى الأدب التفاعلي. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام

11. فيليب بوطز. (2013). ما الأدب الرقمي. مجلة علامات، العدد 35، مكناس، المغرب.

12. كرام، زهور. (2009). الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية. رؤية للنشر والتوزيع

13. كرام، زهور). (لا ت). (ظلال العاشق من الانبهار إلى السؤال الأدبي). Récupéré sur sanajlah-shades.com.

14. محمد سناجلة. (لا ت). رواية الواقعية الرقمية. عمان: صفحة كتب، www.facebook.com/the books.

15. معمري, سهوية, (2016). ديسمبر. (الأدب الرقمي بين إشكالية المصطلح وخصوصيات المبدع. مجلة العلوم الإنسانية), قسنطينة، الجزائر، العدد 46، المجلد 545.
16. ملحم, إبراهيم أحمد. (2013). الأدب والتقنية، مدخل إلى النقد التفاعلي إربد، الأردن : عالم الكتب الحديث.
17. يقطين, سعيد. (2004). من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي